

الثوابت والمتغيرات في ظل الوجود العثماني بالمغرب الإسلامي

أ.مداح عبد القادر

جامعة ابن خلدون - تيارت-

مقدمة

يسود لدى البعض أو الأغلبية الاعتقاد أن السياسة والحكم هي مقياس قوة الدولة أو ضعفها، بيد أن العامل الثقافي هو حقيقة ذلك المقياس الذي تتحدد بموجبه رفعة الدول وهبوطها لأن الثقافة ظاهرة وواقع عام ترتبط بالفرد والمجتمع، أما السياسة فهي اختصاص تصلح للبعض دون البعض الآخر لذلك فالتاريخ الحديث للمغرب الإسلامي، ترسم ملامحه الأبعاد الثقافية وتحدده لأنها مغايرة لغيرها من أجنبية، والتي تكررت محاولاتها من أجل استئصالها* بشتى الأساليب فنجحت إلى حد ما من الناحية السياسية والعسكرية وفشلت فشلا ذريعا من الناحية الثقافية، وهذا بطبيعة الحال لوجود ثوابت تمثلت في عراقة التاريخ وتأصل اللغة والدين الإسلامي . ذلك ما جعل للخصوصية المغربية مميزات في محافظتها على مكونات هويتها الشخصية طيلة قرون صانت ومورثوها الثقافي ولغتها ودافعت عنه ضد الاعتداءات الأجنبية .

لا شك أن الدولة العثمانية اعتمدت بالأساس على هذه المكونات وعلى رأسها الدين الإسلامي** ليس لبسط نفوذها فحسب، ولكن حتى في حروبها ضد الدول أو القوى المسيحية، وهذا ما يفسر الدعم الذي لقيه العثمانيون من طرف الهيئات الدينية ورجالات الطرق الصوفية

وأرباب الزوايا ، واعتبروا الدولة العثمانية رعاية إلهية وأمل لاح في أفق سماء شمال إفريقيا . وسيبسط الطرح بالنسبة لهذا الموضوع حول أوضاع المغرب الإسلامي بين الثوابت والمتغيرات في ظل الوجود العثماني ببلاد المغرب.

أوضاع الجزائر وتونس في ظل الوجود العثماني

كانت الجزائر في تلك الفترة تعاني كما هي الحال أيضا بالنسبة للشقيقة تونس من تهافت الأسباب على سواحلها. وذلك بعدما استرد النصارى معظم البلاد الأندلسية، واحتلوا زيادة على ذلك مراكز بالساحل الغربي، وربما كانت الاعتداءات المتكررة من الأسباب المباشرة التي مهدت لاستقرار الحكم التركي بالجزائر⁽¹⁾ ويأتي في مقدمة هذه الأسباب الدافع الديني بسبب الصراع بين الإسلام والنصرانية⁽²⁾ وإخراج المسلمين من الأندلس⁽³⁾. وبسبب آخر داخلي هو الوضع الذي آل إليه المغرب الإسلامي عموما، وبخاصة الأقطار التي وقعت، فيما بعد تحت الحكم التركي، حيث مع مطلع القرن السادس عشر ميلادي سقطت دول المغرب الإسلامي وإمارته الصغيرة المتهاكة وبروز مكانها الحكم العثماني إلا في المغرب الأقصى حيث حل محل بني وطاس الأشراف السعديين⁽⁴⁾ ولا عجب إذا نظرنا تطويق الدولة العثمانية للمشرق، وإن شأنا قلنا الوحدة المشرقية في ظل الدولة العثمانية أن تتم صورة الإحاطة، بعد سوريا ومصر، تونس وطرابلس إلى الجزائر وتماست حدودها مع المغرب الأقصى في جهته الغربية مدينة وجدة وفجيج، وبهذا بدأ فصل جديد في السيادة على المغرب ونهاية الحكم الحفصي من تونس وشرق الجزائر وطرابلس، وانتهى حكم الزيانيين في الغرب الجزائري⁽⁵⁾ كما كان نفس مصير إمارة الثعالبة حول مدينة الجزائر⁽⁶⁾ كما فقدت أيضا إمارة المقرانيين وإمارة السويد استقلالها،

وما يهم في هذا المقام معرفة الحالة التي كانت عليها كل من الجزائر وتونس وطرابلس في ظل العثمانيين .

1 - الأوضاع في الجزائر: تمثل الوجود العثماني بالجزائر بتواجد الأخوين عروج وخير الدين ولا نذهب إلى تفاصيل الأصل والتواجد في غرب المتوسط للأخوين، ولكن ما يهم في هذا المقام وضع الجزائر في ذلك الظرف بالذات، فقد ذاع صيت عروج وأخوه بسبب غاراته الناجحة على الأسبان، مما جعل أهل القبائل يستقدمونهما لاسترجاع بجاية أكبر موانئ شرق الجزائر حينذاك، فكانت هي أول ميناء سيسترده المسلمون من الأسبان وبعد أن نقل عروج قاعدته من تونس إلى جيجل استدعاه سالم السالمي حاكم ميناء الجزائر مع قوة صغيرة من العثمانيين، قد نجح في صد هجوم إسباني عن المدينة في سنة 1516 م بعد ذلك تولى عن الحاكم الوطني⁽⁷⁾ وتسلم القيادة العسكرية تحت حكمه مؤلفة من تركيبة مختلفة الأجناس، واستمر بسط النفوذ العسكري في المغرب الأوسط شبرا بشبرا حتى اصطدم بإمارة بنو حمو بتلمسان وانشقاقها وتعاونها جهارا مع الأسبان أدى إلى انشقاق حزب مناوئ نادى بالتعاون مع عروج في الجزائر.

اتجه عروج في سنة 1517م مع قواته إلى تلمسان مارا بمدن الجزائر الرئيسية مثل المدية ومليانة وأقام فيها حاميات عثمانية ودخل مدينة تلمسان، وخضعت له قبائل المقيمة على حدود مراكش وأقام علاقات طيبة مع فاس⁽⁸⁾ غير أنه قضى هناك بسبب تحالف بوحمو مع الأسبان من جهة وخيانة بعض أهل المدينة الذين تأثروا بالحصار.

لقد تخرج خير الدين من مقتل أخيه غير أنه بعد السبب المباشر في تعزيز قواته بطلب المعونة من حكومة الأستانة فكانت سنة 1518 البداية الفعلية للحماية العثمانية للجزائر⁽⁹⁾ فكان على خير الدين أن

يواصل مناوراته السياسية وعراكه العسكري لتأسيس ولاية قوية، ذلك أن هذه الفترة اتسمت بالتآمر، وخاصة وأنه فتح على نفسه جبهتين :

الأولى: تتمثل في الصراع القوي مع الدول الأوروبية على وجه العموم، والأسبان على وجه الخصوص.

والثانية: هي بسط نفوذه على كل من الجزائر وتونس وحتى طرابلس وقد تمكن من ذلك بفضل الدولة العثمانية التي ظهرت قوية على مسرح الأحداث⁽¹⁰⁾.

وقد ألزم تلك الإمارات بالتبعية إما طواعية أو باحتلال المدن الداخلية وإخضاعها مثل ما حدث مع مدينة قسنطينة سنة 1527م . غير أن أكبر حدث يتمثل في تخليص حصن البنيون من يد الأسبان سنة 1529م وبذلك أصبحت الجزائر نيابة عثمانية وأصبحت من القوة بمكان جعلت الأسبان في يأس من أمرهم لاحتلال الجزائر ومن جديد فكانت الضرورة تلج على الأسبان انتظارا لنقل حروبها إلى أقصى الشرق إلى تونس . وقبل أن انتقل إلى تونس وظروفها . لا بد أن نخلص إلى بعض العوامل التي أثرت في المجتمع الجزائري، ارتسمت من خلال تفاعلات هامة العناصر ملامحه الرئيسية، وخاصة أن هذه العوامل أثرت بشكل مباشر في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية خلال العهد العثماني⁽¹¹⁾.

العوامل المؤثرة في الأوضاع العامة

تتمثل هذه العوامل في هجرة الأندلسيين التي بدأت خلال القرن التاسع وزادت حدة خلال القرن العاشر هجري وخاصة بعد الذي قامت به محاكم التفتيش⁽¹²⁾ والعامل الثاني يتمثل في الدولة العثمانية

التي ظهرت تسد الفراغ الذي خلفته الخلافة العباسية للعالم الإسلامي، كما لا يخفى أنه بالإضافة إلى التركيبة البشرية للعثمانيين، أو الذين جاؤوا مع العثمانيين هناك العنصر اليهودي، الذي لعب دورا محوريا وخاصة على المستوى الإقتصادي وبالخصوص الميدان التجاري . فهذا التنوع الذي عرفه المجتمع الجزائري أثر بشكل واسع في حياة الجزائريين الثقافية بهجرة الأندلسيين وكذلك الأسلوب الحضاري كما تأثرت باقي الجوانب الأخرى تباعا، وما يهم هو الوضع الثقافي، ومن الغريب ما يقدم الدكتور أبو القاسم سعد الله حول ظهور التصوف، ويربط التدهور الثقافي بالتصوف الذي ظهر منذ القرن الخامس الهجري في شكل طرق صوفية ويبدأ العنصر التركي من كونه طرف في التدهور الثقافي فيقول: "التدهور الثقافي والتصوف المنحرف قد أعانا على ظهور الأتراك! كما أن سياسة الأتراك في الحكم قد أعانت بعد ذلك على نشر التصوف الخرافي والانحطاط الثقافي"⁽¹³⁾ "أه ويتابع فيقول: "فال دراويش كانوا وراء تقدم الأتراك في أناضوليا واحتلالهم القسطنطينية"⁽¹⁴⁾ . فإذا كان للطرق الصوفية هذه القوة التي جعلت حلم فتح القسطنطينية يتحقق فلا يمكن أن نجعل سبب تدهور الوضع الثقافي في الجزائر كله على عاتق الطرق الصوفية، في حين يمكن اعتبار جانب من هذا التوقع يقع على بعض الطرق الصوفية، في حين جانب المضيء لهذه الطريق هو ما جعل المجتمع الجزائري يصمد بعد انسحاب الأتراك، وظل صامدا طيلة الوجود الأجنبي، وساهم في تعجيل رحيله من جهة وحافظ على هويته الدينية ولغته العربية من جهة ثانية . وعليه فالجانب الثقافي لا يمكن تحديده بطرق أو جهة دون الوقوف على أسرار هذا العلم الذي خلف تراثا ثقافيا

دينيا لا زال يستلهم منه ما أراد حقيقته وقد استفاد منه من تسمى وتقمصه فضلا عن من أخلص فيه وثبت عليه .

2-الأوضاع بتونس

مما يلاحظ هو استعصاء الجزائر بفضل الجهود العثمانية من تأمينها من رضوخها مجددا وخاصة موانئها للأسبان أرادت تعوض ذلك باستيلاء على موانئ بتونس كما جرى الحال مع سفاقس وسوسة، ومناسير التي تمكن منها أدري دوريا سنة 1540م وهذا الحادث أثار حفيظة السكان على الحكام الحفصيين الذين عجزوا عن صد هذا العدوان الأجنبي⁽¹⁵⁾ . واضطره الحال التي آلت إليها الأوضاع من جراء هذا الغزو الاتجاه نحو أوربا يستجدي المساعدة، وفي خلال ذلك سطا على العرش أحد أفراد الأسرة الذي فشل هو بدوره في استتباب الأمن في البلاد ولكن الحل جاء مع بحار عثماني⁽¹⁶⁾ يسد الفراغ في تونس شأنه في ذلك شأن سابقه خير الدين.

لقد كانت الدولة العثمانية تزداد نفوذا وخاصة بعد أن استولت على ميناء طرابلس الذي كان سابقا تحت يد فرسان بيت المقدس حتى سنة 1551م⁽¹⁷⁾ وكان من نتيجة ذلك أن أصبح هذا الأخير ممثل الدولة العثمانية على هذه النيابة في الشمال الإفريقي . وتعتبر المناطق التي تم الاستيلاء عليها مثل ميناء قفصة سنة 1556م، والقيروان بعد ذلك سنة 1558م بفضل النيابة التي حكمها وكانت بمثابة الرباط. في المقابل كان الشمال لا يزال تحت السيطرة الحفصية بمعية الأسبان.

إن توحيد دول المغرب من جديد تحت سلطة قوية مثل الدولة العثمانية هو الهاجس الوحيد الذي كان يؤرق الأسبان بل ودول أوربا .

يمكن اعتبار الفترة التي اشتد فيها الصراع بين الحلف المسيحي الذي دعا إليه البابا بعد استيلاء العثمانيين على تونس سنة 1569م نهاية فصل آخر من التقدم العثماني باتجاه أوروبا، وبالسيطرة التامة للعثمانيين على الحوض الغربي للمتوسط، وكأنه تم التصالح القهري على احتفاظ الأسبان ببعض الجيوب الساحلية في شمال إفريقيا وكذلك خلصت جزيرة مالطة لفرسان بيت المقدس. وما لبث أن أبعادوا الأسبان تأكيد لما تحت أيديهم الهجوم على تونس سنة 1573م⁽¹⁸⁾ وفرض الحفصيين حكما عليها غير أن الأمر تعلق بسنة واحدة ليعود إليها العثمانيون وبذلك تأسست النيابة الثالثة بتونس بعد أن دام حكم بني حفص قرابة الثلاثة قرون.

على هذا الوضع انتهى شمال إفريقيا باستثناء المغرب الأقصى⁽¹⁹⁾ الذي سيأتي الحديث عنه ولو أنه في الأصل لب الموضوع الذي لا يمكن فصله عن الأحداث التي دارت بجارتيه الجزائر وتونس وإن كانت العلاقات العثمانية المغربية يشوبها بعض الغموض سواء كان ذلك تحاملا أو نهجا لا يمكن تعديده⁽²⁰⁾ ويرى بعض المؤرخين أن العلاقات العثمانية المراكشية اتسمت بالفتور فعلاقة المغرب الأقصى اتسمت بالحيوية بينها وبين المشرق الذي هو في الأصل تحت الحكم العثماني وإلا كيف نفسر هذا التناقض؟!.

لقد تميزت الفترة نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر بالهدوء النسبي بين الدولة العثمانية الممثلة للإسلام وإسبانيا الممثلة للمسيحية! وكأن هذه الأخيرة انتهى دورها بتفكك الحلف أو أن المغرب لم يعد يشكل تهديدا لها، بعد انصراف حكومة الباب العالي نحو أوروبا⁽²¹⁾ كما هو الشأن بالنسبة لمستعمرات إسبانيا بأمريكا بعد نشأتها وتعميرها. ويمكن اعتبار الظروف التي كونت المجتمع الجزائري

كما ذكرت سابقا هي التي طبعت الأوضاع لتتناسب والحقبة التي انتقلت إليها في شمال إفريقيا، ولم يعد لسحر الأسبان على القبائل في فعل وخصوصا أن وجود الإسباني يهدد الخطر العثماني من جهة وعيب الميزانية التي جهلت من جنود الحاميات في وضع وصفة المؤرخون بالكارثي⁽²²⁾. وبعد كل ذلك الصراع المير والطويل كان لا بد من أن يؤول إلى مخرج ما، فكان توقيع الهدنة الذي طلبه فليب الثاني عام 1581م⁽²³⁾، مع الباب العالي كاستراحة حتمتها الظروف العامة. وللاستمرار كان لابد من التوقف بالنسبة للطرفين لمراجعة الحسابات وإعادة بناء القوة ماديا ومعنويا وهذه خدعة كون أن الصراع لم يتوقف بسبب التحرش الإسباني بالسواحل، ولاسيما احتلال وهران⁽²⁴⁾ كونه بقي مستمرا رغم الهدنة. وبعد كل هذا أصبح في شمال إفريقيا ثلاث ولايات عثمانية أو نيابات هي الجزائر، وطرابلس، وتونس، وربما أن الجزائر أكبر تلك الولايات، أو كانت كذلك تبدوا اعتبرت من حيث كونها أقدم النيابات عاصمة لاسيما وعليها كان الحاكم يفوق في رتبة حكام النيابات الأخرى وكان يطلق عليه اسم البيلربك أي رئيس الحكام. غير أن الأوضاع اختلفت بعد انفصال تونس بعد ثورة 1590م⁽²⁵⁾ ويحكمه داي مثل الجزائر علاقته مباشرة مع الباب العالي، في حين أن التبعية للدولة العثمانية لم تكن تبعية مطلقة، بحيث كان الحاكم الجزائري مطلق الحرية داخل ولايته، وعليه، فإن ولايات شمال إفريقيا كانت تستمد مظاهر كيائها وعظمتها من الدولة العثمانية، لأنها كانت تمثل الدعم المعنوي لها على المستوى الخارجي.

إن استقلال ولايات الشمال الإفريقي كان في كل الأمور الإدارية والسياسة تبعا لنظام الحكم والحاكم وتبعا لتطور الأحداث السياسية، والتغيرات التي طبعت نظام الحكم فيما بعد نتيجة سيطرة

بعض الأسر على الحكم مثل الأسرة الحسينية في تونس، والقرمالية في طرابلس⁽²⁶⁾ في حين أن الجند البحرية أحكمت سيطرتها على ولاية الجزائر، ومن هنا يكمن حصر الارتباط بين الدولة العثمانية والمقاطعات التابعة لها، وبالأخص بإفريقيا الشمالية في الرابط الديني، والذي كما وسبق وأن أشرت أنه عصر الطرق الصوفية . التي شكلت شعرة معاوية بالنسبة للدولة العثمانية في البقاء ولو اسما في شمال إفريقيا، حتى بعد أن أصابها المرض، وبدأت بالنسبة لواصلها كالرجل الذي بلغ به العمر عتيا وأصابه مرض فتفككت أعضاؤه حاله حال العالم الإسلامي في عصر ملوك الطوائف⁽⁴⁾ وما آل إليه بعدد سيطرة كل فرع على ناحية وتغلبه عليها .

هذا ما آل إليه الوضع العام، ويمكن أن نجمل ذلك في نتائج تختلف عما كان يحدث في المشرق، وحتى الباحث في هذا الشأن يتحرج من وجود اختلاف من حيث اعتبار الدولة العثمانية مستعمر، ومقصر من جهة وحام منقذ مهتر من جهة أخرى.

إن الظروف التي وجدها الأتراك تغيرت بوجودهم، ولكن هذا التغير جاء نتيجة العناصر التي شكلت الطابع الاجتماعي الثقافي الذي زامن الأحداث من جهة، وكان يبدو هذا التواجد ظريفي وسيحول، كما الحال مع الأسبان إذ قواتهم كانت تعتمد على العرب في حروبها، كما حدث مع تلمسان⁽²⁷⁾ والمصلحة مشتركة غير أن الإدارة غير المباشرة للعثمانيين فيما تحت أيدها جعلها تعتمد في سيطرتها على القبائل في الداخل بإعفاء أقواها مقابل ما تقوم به في جمع الضرائب لصالحها، في حين نجد بعض التكتلات الأخرى استعصت فتركت وشأنها مقابل جزية . هذا لا يعني أن الدولة العثمانية اقتصر تواجدها على الساحل فقط، بل شمل مناطق واسعة من الجزائر امتدت حتى واحات ميزاب في

الصحراء⁽²⁸⁾، غير أن هذا النظام المتبع فرضته طبيعة الأوضاع العامة، ضف إليها التركيبة التي أصبح عليها المجتمع الجزائري، وظل هذا الوضع طيلة الوجود العثماني .

هذا ما يفسر ضالة أعداد الإنكشارية بالجزائر⁽²⁹⁾ إذا لا حاجة إلى قوات أكثر من الأتراك مادام وجود فرق من الأهالي قد جندوها خير الدين خليطة العرق موحدة الانتماء .على هذا المنوال كان نظام الحكم في شمال إفريقيا وبالخصوص على إيالة الجزائر بعدما أصبحت بالجزائر ثلاث مقاطعات هي: الجزائر، وإقليم قسنطينة في الشرق وهي أكبر الأقاليم تليها من حيث الأهمية إقليم وهران في الغرب وعاصمته معسكر التي ستكون فيما بعد مقر الأمير عبد القادر الجزائري بل عاصمته التي تمثل أول حكومة جزائر بالمفهوم الحديث في بداية الأمر قبل أن تنقل إلى وهران بعد جلاء الاحتلال الإسباني عنها، في حين أن الإقليم الثالث تمثل في التيطري وعاصمته المدية والحكام الذين يشرفون على إدارة شؤون هذه الأقاليم ملزمون بدفع مبالغ معينة إلى الداي سنويا تجبى من عند القبائل القاطنة بها .

لم يستمر الوضع على نحو تشتهيه الدولة العثمانية بحيث ظهرت قوى أخرى على طرف كان من قبل عماد العثمانيين وهو الطرق الصوفية التي ازداد نفوذها، والتي تضاربت مصالحها مع الدولة العثمانية وخاصة الطريقة الدرقاوية⁽³⁰⁾ والتيجانية . وقد عملت هذه القبائل على توحيد القبائل بدمج العرب مع البربر في شكل تكتلات أثارت القلاقل وقامت اشتباكات بين الطرفين أكثر من مرة على امتداد سنوات، ولا نغفل أيضا ما قام به أحد زعماء الطريقة التيجانية مع بداية القرن 19 من مهاجمته لقسنطينة واحتلاله لها لوقت قصير سنة 1803م ومن هذا المنطلق يمكن الرد على من زعم بأن الطرق كان

لها دور في وحدة الدولة العثمانية ودفعتها لاكتساح مساحة شاسعة من العالم في تلك الحقبة في حين أن الطرق الصوفية كانت عامل تفكك ولا يمكن أن يعزي ذلك إلى ما يقال حول إيعاز المغرب من أجل زعزعة الوجود العثماني فحسب بل أن التصوف أيضا له مجالات الحيوية التي يمكنه التحرك ضمن إطارها .

يمكن اعتبار الطرق الصوفية من أكبر الدعامات التي كانت تستند إليها الدولة العثمانية سواء في إثارة حماس الجهاد، أو مباركة الحكم العثماني تبنت الولاء، غير أنه لا يعزي ضعف الدولة العثمانية وبداية انهيارها إلى دعامة الصوفية، فإن لذلك أسباب متعددة، تؤثر بشكل مباشر في الجانب الديني المؤيد للوجود العثماني وبالتالي تؤثر في إيجابية الطرق الصوفية تجاه الحكم العثماني⁽³¹⁾.

فالإمبراطورية العثمانية حدث لها ما حدث للإمبراطوريات السابقة، وتأتي في مقدمة الأسباب اتساع الرقعة الجغرافية التابعة لها، وعدم القدرة على مواصلة السيطرة عليها. وفتح عدة جيئات للقتال لاسيما بأوربا⁽³²⁾ فكان الوضع إلى ذلك الحين لا يشجع على بقاء الدين الإسلامي الرابط الذي قبل بالدولة العثمانية حامية لعراة بالمغرب الإسلامي، وبدأت أواصره تتفكك . عندما نجد الاتفاقيات التي حصلت عليها دول أوربا وأخص بالذكر فرنسا، في علاقاتها بالدولة العثمانية من استغلال وحرية التنقل في المنطقة الساحلية للجزائر. ولا يمكن أن نقول بأن الفترة الحديثة أو التطور الذي عرفته أوربا، أنه خفي عن الدولة العثمانية لأن العاصمة موجودة أصلا في احتكاك مباشر مع أوربا، غير أن الأخذ بالأسباب التي جعلت من أوربا أكثر تطور لاسيما في المجال العسكري الحربي والأسلحة كانت شاقة على دولة تتخبط في اضطرابات وتحكم عرقية وجنسيات تختلف من حيث التكوين

والثقافة والتي لم تسيطر أو تجمعهم ثقافة واحدة تكون بمثابة الأساس للبنيان الحضاري واستمراره في القيادة والريادة.⁽³³⁾

إن كانت الجزائر، تونس، وطرابلس تعاني نفس المصير وتقاسي نفس الظروف، وتلقى نفس المعاملة من طرف حكام الدولة العثمانية⁽³⁴⁾، وخاصة على مستوى القيادة العليا. فإن الأمر كان كذلك بالنسبة للمغرب الأقصى وبحكم الجدار لا مسته ربح التقهقر والاضطرابات وصعود أسر إلى الحكم وسقوط آخر، إذ أن وقوع المغرب الأقصى بين قوتين الدولة العثمانية التي أرادت أن تضم المغرب الأقصى إلى بقية مقاطعاتها ولم تفلح وقوة الأسبان والبرتغال ممثلة في دول نصرانية تحتل سواحل المغرب .

3- المغرب على عهد الوطاسيين

في أواخر القرن الثالث عشر ميلادي. كان النصارى قد استردوا تقريبا بلاد الأندلس كلها من أيدي المسلمين حتى لم يبقى في حوزتهم سوى مدينة غرناطة التي اضطر المسلمون لمغادرتها نهائيا سنة 1492⁽³⁵⁾. ومنذ ذلك الوقت بدأت محنتهم، لأن النصارى لم يكتفوا بذلك بل كانت الجرأة تحذوهم إلى أن تابعوا مطاردتهم ومقاتلتهم في عقرديارهم. إلى أن احتلوا عدة مدن على الساحل المغربي، منها مليلة والعرائش وطنجة وآسفي⁽³⁶⁾ والأدهى أنهم لم يكتفوا بذلك بل عمدوا إلى تأسيس مدن أخرى، كالجديدة وأزمور وأجدير⁽³⁷⁾، حتى يتسنى لهم الإشراف المباشر على الجيوش الغربية في الداخل ووأد أي محاولة عدائية ضد الدول النصرانية أي عودة المسلمين من جديد إلى الأندلس .

لقد كان احتلال البرتغال لسواحل المغرب أن قامت حركة دينية تدعو إلى إعلان الجهاد على النصارى مصدرها الزوايا والمعاهد الثقافية، وغايتها استخلاص المراكز البحرية من أيدي الصليبيين.

رغم هذه المحن التي تتابعت على المغرب ظللت العلاقات التجارية على عهد الوطاسيين قائمة وكانت هذه المعاملات تتم بمدينة فاس⁽³⁸⁾ بموجها يستورد المغرب الأقصى المعادن والثياب والأقمشة المتنوعة والتوابل، وفي المقابل يصدر المغرب إلى الخارج منتوجات محلية كالحبوب والسكر، والجلود، والصوف، وغير ذلك مما ينتج وطنيا.

كانت مرحلة الحكم الوطاسي بمثابة المرحلة الانتقالية لأن الوطاسيين فرع من بني مرين⁽³⁹⁾ وكانت الاضطرابات والتحرشات الصليبية قد زادت من ضعف بني الوطاس من جهة والظهور المفاجئ للسعديين مستغلين الدعامة الدينية المتمثلة في الطرق الصوفية وزواياها من جهة ثانية فكانت نهاية بني الوطاس .

ظروف المغرب الأقصى على عهد السعديين

بعد أن استقر البرتغاليون، في المرافئ التي احتلوها ولم تكن للدولة السعدية في بداية أمرها مهما فعلت القضاء على الوجود البرتغالي دون مساعدة أرباب الزوايا، فكان التكاتف مع الرجالات الزوايا يعطي ثماره، غير أن الأمر أصبح يتعقد بوجود الدولة العثمانية في الجوار.

بعد وفاة محمد المهدي⁽⁴⁰⁾ الذي عمل بصورة مستمرة مع الزوايا على محاربة البرتغال، خلفه أحد أبنائه محمد الذي تمكن من إزاحة الوسطاء به . وكان يلقب بالمتوكل . غير أن الأمور لم تكون في صالح هذا الأخير حيث تألبا عليه عميه أحمد وعبد الملك وحاولا خلعاه عبر مساعدة الأتراك⁽⁴¹⁾ . هذه المعضلة جعلت المتوكل يتوجه إلى طلب

المساعدة من الأعداء وبخاصة البرتغال الذين اشترطوا مقابل إعانتته البقاء في أهم المراكز الساحلية بالمغرب⁽⁴²⁾. فهذا تضارب الذي لم تحدد مصالحه لكل طرف جاء لينهي مسألة الخلاف، في المغرب الأقصى حول الحكم ويعطي بعدا آخر لأوضاع بعد استغلاظ عود أرباب الزوايا، وقويت شوكتهم إثر المعركة التي حتمها الظروف السياسية والدينية على حد سواء، فكانت معركة قتل فيها ثلاثة ملوك بالقرب من مدينة القصر الكبير، الواقعة على ضفة واد المخازن، حيث قضى فيها بين عشية وضحاها قائد الجيش البرتغالي سيباستيان، ومحمد المتوكل، ثم لا يلبث عبد الملك أن يلفظ النفس الأخير فحلت هذه المشكلة في التطاحن على الملك بمبايعة أخا عبد الملك أحمد المنصور، الذي يعتبره المؤرخون أعظم الملوك المغرب، وذلك نظرا للأعمال التي تمت على عهده في الميدان السياسي والعسكري، والثقافي والاقتصادي .

ففي الميدان العسكري، غزو السودان وحملته التي على إثرها سمي بالذهبي وكانت سببا آخر في نشر الديانة الإسلامية في السودان بصورة واسعة النطاق، ولاسيما الطرق الصوفية ودورها في نشر تعاليم الدين الحنيف⁽⁴³⁾، هذا من ناحية، ومن الناحية السياسية والتنظيم الإداري إلى قبيل المعركة، في حين أن القبائل كانت تخضع إلى المخزن⁽⁴⁴⁾ السعدي وتؤدي له الضرائب وإلى الجيش الذي كان منظم، والذي كان يتألف من العبيد بعد غزو السودان، والبربر والأتراك كذلك⁽⁴⁵⁾ وكانت حامية الدولة ترابط في مراكز وهي قاعدة لملك في تلك الفترة .

علاقات المغرب الخارجية

تمثلت العلاقات المغربية أيام السعدين بالتطور والازدهار وكانت على نوعين، سياسية وتجارية، ففي شقها السياسي كانت تعمل على

إطلاق سراح الأسرى الأوروبيين الذين وقعوا في قبضة القراصنة السلويين⁽⁴⁶⁾ كما استفاد في الشق التجاري في الخارج، حيث كان المغرب يصدر القمح، والجلود، والسكر، والنحاس، والحديد، والعنبر، وتجلب في المقابل من الدول الأجنبية⁽⁴⁷⁾ أنواع السلع كالأقمشة والأسلحة.

بلغت الدولة السعدية على عهد المنصور قوة لا يستهان بها في جميع المناحي. غير أن الأمور بدأت في التفكك عندما قضى المنصور نحبه سنة 1603⁽⁴⁸⁾، تنازع أبناءه على الملك، وبدأت بوادر المشكلة السابقة تطفو إلى السطح وهي طمع في هذه الفترة بالذات حركة دينية تشبه تمام ما حدث على عهد بني وطاس، وظهور الجازولي⁽⁴⁹⁾ الذي واصل بعد وفاته تلميذ عمر بن سليمان الشظيبي، ويعرف بالسياق طيلة عشرون سنة في ثورته وزيادة أنصاره ومريديه واستمر على نهج طريقة الجزولي⁽⁵⁰⁾، وقيام عبد العزيز التباع، ومن بعده الشيخ الغزواني⁽⁵¹⁾ إنما يدرك أن هذه الثورة كانت بداية إحياء طريق العمل السياسي، وربطه بالعمل الديني لاسيما أنه في الجنوب في إقليم السويس بالقرب من مراكش.

لقد كان مصدر الحركة الدينية زاوية الدلائيين⁽⁵²⁾ التي كان مركزها، في جبال الأطلس المتوسط. وفي هذه المرحلة بالذات كانت قوة السعديين تتمثل في بداية الأمر على ارتكازهم، بل واحتضانهم للطرق الصوفية وإكبار أشياخها⁽⁵³⁾ غير أن الأمر انقلب ضعفا أمام التطور التي عرفتة الزوايا في تلك الحقبة، وأصبحت الدولة السعدية تعد أيامها أثر إستيلاء الدلائيين على مدينتي فاس ومكناس⁽⁵⁴⁾ بزعامة محمد الحاج، ومن ثم فتحت لهم مدينة سلا أبوابها، وازدادت شوكة الدلائيين قوة بعد أن بسطوا نفوذهم على ناحية المغرب الشمالي

كله⁽⁵⁵⁾ أما الجنوب فكان خلفاء المنصور لبعض قد فقدوا بلاد السوس التي أصبحت تابعة لبعض أولياء الله الصالحين ، وكذلك تافلات أصبحت بيد الأسرة العلوية التي بدا شأنها يعلو بالتدريج، وأمرها يعظم بين سكان تلك الثغور نظرا لما يشكله نسبها من جهة، وعملها في سبيل المصلحة المرسله⁽⁵⁶⁾ .

هكذا كان أمر السعديين الآيل للزوال بعد هذه القوة الدينية المتمثلة في الزاوية الدلائية من جهة وظهور أشراف بالثغر الفلالي وقوة ناشئة من جهة ثانية تنذر بنهاية الحكم السعدي .

المغرب من قيام الدولة العلوية إلى الاحتلال الفرنسي

انتهى الحكم السعدي على يد الدولة العلوية الشريفة، ولا يمكن أن نحكم على ضعف دولة وقوة أخرى بالسقوط والقيام دون أن نراعي الظروف السياسية والحراك الاجتماعي لكل فترة، ولو تتبعنا تاريخ المغرب الأقصى منذ فتحه، لوجدنا أن تغلب ملوك الموحيدين على المرابطين كان بنفس الطريقة التي تم بها تغلب الشرفاء الحسنيون على ملوك الدولة السعدية⁽⁵⁷⁾، وقد تم ذلك على عهد الملك الرشيد بعد اعتلائه العرش سنة 1640م، وبدأ حكمه بمحاربة قبيلة بني يزناسن . غير أن الدور الذي قام به اتجاه الطرق الصوفية وأرباب الزوايا هو عكس ما قامت به الدولة السعدية وأثره في ذلك كان في محق السلالة الدلائية وأعتبر أن الدلائيين كانوا يقومون بأعمال لم تكن في صالح العلويين ولذلك قام بتخريب الزاوية الدلائية⁽⁵⁸⁾، ودخل بعد ذلك مدينتي مراكش وسلا. وتمت له السيطرة على المغرب الأقصى.

يمكن اعتبار الفترة التي تلت انهزام الدلائيين فترة خمول بالنسبة لدور الطرق الصوفية، على مستوى الجانب السياسي لكنها ظلت على

المستوى الديني والاجتماعي تقوم بنفس الدور، في حين أنها كانت تعد لفترة لاحقة يظهر منها الاستعمار الأجنبي بوجه قوى، ولم يكن في وسع أي قوة لردعه غير قوة الطرق الصوفية سواء كان ذلك على المستوى المحلي أو الخارجي⁽⁵⁹⁾.

إن الفترة الممتدة منذ قيام الدولة العلوية الشريفة 1640م إلى غاية اعتلاء عرش المغرب الملك عبد العزيز 1894م اتسمت بالاستقرار السياسي إلى حد ما، ولاسيما الفترة الأولى على عهد الرشيد حيث عرفت الحياة الاقتصادية ازدهارا كبيرا، وأصبحت الدولة تقدم القروض إلى التجار بما توفر لديها من جبايات، زيادة على ذلك تسمح لرعايا الدولة بربط علاقات تجارية مع الخارج، وعلى المستوى العلمي، قامت الدولة بترسيم المؤسسات العلمية القديمة وبناء مدارس أخرى منها مدرسة الشراطين الفاسية، وعلى عهد الملك إسماعيل تم تكوين جيش لا علاقة له بالقبائل المغربية، وكان يسمى بجند العبيد أضيف إلى ما جاء به أحمد المنصور من السودان⁽⁶⁰⁾ جنودا استقدموا حديثا، وأنشئوا تنشئة ولاء وأداء القسم على صحيح البخاري، واستمر الازدهار الاقتصادي غير أن الطابع الحربي غلب في فترة حكم إسماعيل خاصة ضد القبائل العربية والبربرية في جنوب الأطلس والمغرب الشرقي. وذلك نظرا للوجود التركي الذي دخل معه في معركة انتهت بكف الأتراك العثمانيون واضطرارهم لتهدئة الوضع، وما ميز هذه الفترة أيضا في الجانب الحربي هو استعادة مدينة المهدية من أيدي البرتغاليين، وطمحة من الإنجليز، والعرائش من الأسبان⁽⁶¹⁾، ولم يبق في يد الأسبان سوى سبتة ومليلية والجديدة ولا نستثنى الجانب الاقتصادي والاجتماعي الذي ازدهر وتطورا في هذه الفترة. حيث اتسمت السياسة بنوع من المرونة في العلاقات الخارجية ولاسيما مع

فرنسا الصديقة التي ستصبح العدو والمحتل في الفترة اللاحقة تماشيا مع ازدهار وركود الاقتصاد . وسعي المغرب في هذه الفترة⁽⁶²⁾ إلى توثيق العلاقات التجارية والسياسة مع الدول الأجنبية واستحكمت المودة بين لويس الرابع عشر⁽⁶³⁾ ووصل الأمر بالملك إسماعيل أن خطبه ابنته الأميرة "دوكوتني" زيادة في توطيد الصداقة وتمتين العلاقة بين المملكتين الفرنسية والمغربية.

بداية الضعف والانحطاط المغربي

حكم منذ قيام الدولة العلوية ثمانية ملوك، ازدهر المغرب في ظل الأولين، الرشيد وإسماعيل وظهرت بوادر القلاقل بعد ذلك، لأن فترة القرن الثامن عشر تعرف بفترة القرصنة واستعمال القوة كلما دب خلاف. أو حدث نزاع بين الدول ولاسيما بين الدول الإسلامية وخص بها دول المغرب وبين الدول الأجنبية وأهمها: إسبانيا، والبرتغال. وبدأ ميزان القوى يختل ورجحت كفة الدول المسيحية، وكأن تصفية الحسابات مع الدول الإسلامية بدأ بأضعفها ليصل إلى أقواها وهي الدولة العثمانية.

لقد كانت الحالة الاقتصادية خلال هذه الفترة مضعضة وكثرة الثورات، والأزمات التي انتابت البلاد وعجز ظاهر في مالية الدولة، خلفه إسماعيل بعد وفاته، وهذا ما أدى بخلفه سيدي محمد بن عبد الله⁽⁶⁴⁾ . تطبيق أمر من أجل تلافي تلك الحالة الخطيرة. وقد زادت الوسيلة الأولى فيما بعد من حدة الاضطراب وهي إحداث ضريبة يؤديها التجار للدولة عند جلب السلع والبضائع وتسمى بالمكس⁽⁶⁵⁾ ، والثانية تمثلت في تنشيط الحركة التجارية بجنوب المغرب ولا يتم ذلك إلا بتأسيس مدينة جديدة سميت بالصويرة⁽⁶⁶⁾ التي يهدف من ورائها تأسيسها جلب التجارة الأجنبية إليها من جهة وجعلها مستودع

البضائع ومخزنا قبل توزيعها في المغرب. غير أن الذي ينتبه إلى مثل هذه الأمور لابد أن يكون متمرس، فكان اليهود ولهم باع في ذلك أول من استفاد من تأسيس هذه المدينة، وانتقلوا إليها وعمروها غير أن المشروع المأمول لم يكلل بالنجاح .

قلت في السابق أن دور الطرق الصوفية هفت أو يبدو كذلك في هذه الفترة بإجراء ما لقيه رجالات الطرق الصوفية في حروب ولم يكن لهذه الطرق دور في التفكك⁽⁶⁷⁾ بل كان لها دور في الوحدة حيث انزوت إلى حين ويظهر دورها بعد الاحتلال الأجنبي، سواء على مستوى المقاومة في جانبه السياسي العسكري والأمثلة كثيرة أو على المستوى الثقافي التعليمي وحفاظها على الهوية الوطنية وثوابت الثقافة الإسلامية وحرصها على نشر الوعي الثقافي الإسلامي ونفس الأمر الذي حدث في الجزائر كان يحدث بالمغرب الأقصى بل حركته امتدت من المشرق تحت عنوان النهضة غير أنه في هذا الوضع كانت البلاد على شفا حفرة من السقوط، وخصوصا مع بداية القرن التاسع عشر، الذي اشتدت فيه الأزمة الاقتصادية وتوالت النكبات على عهد الملك سليمان في الفترة ما بين 1792م و1822م وتعددت الفتن بل وانتشر الوباء⁽⁶⁸⁾ في البلاد مرتين، ذهب ضحيته عدد من السكان المغرب، وظل المغرب يمانع السقوط تحت الاحتلال بعد أن احتلت فرنسا الجزائر سنة 1830م وفرضت الحماية على تونس، وظلت تتطلع إلى ضم المغرب، وكانت كل المؤشرات على جميع الأبعاد تنذر بوقوع المغرب تحت الاحتلال في ظل انحصار الدور الذي كانت تلعبه الطرق الصوفية، وما كانت سوى مسألة وقت حتى وقع المغرب كغيره تحت الاحتلال، وتجسد ذلك فعليا على عهد الملك عبد العزيز والفترة الواقعة بين 1894- 1909م تسمى بالأزمة المغربية⁽⁶⁹⁾ بحيث تدهورت الحالة

الاقتصادية بالمغرب جعلت من الملك الجديد يفرض ضريبة جديدة باسم الترتيب لم يوافق عليها الشعب المغربي تلا ذلك اتفاقية 1904م⁽⁷⁰⁾ التي بموجبها اعترف لفرنسا وإسبانيا ببعض النفوذ وتلا ذلك مؤتمر الجزيرة الخضراء⁽⁷¹⁾ سنة 1906م وما جاء في مقرراته يدل على التدخل الصريح في شؤون المغرب بمباركة الولايات المتحدة، وبعد فترة قصيرة بعد اعتلاء العرش من طرف الملك حفيظ 1909م الذي شق عصا الطاعة على أخيه عبد العزيز، وتشتد الأزمة بعد أن حاصرت القبايل تقاس، وتدخلت فرنسا تحت قيادة الجنرال "مواني" وذلك في شهر أبريل 1911م ورفعت عنه الحصار، حيث طلبت منه تصفية حسابه مع أخيه عبد العزيز، وحملته كرها على توقيع صك الحماية والتنازل على العرش وتم ذلك في 30 مارس 1912، وبذلك ينتهي الوقت الذي كانت المملكة تمانع فيه الاحتلال لينتهي فصل من تاريخ المغرب الذي عاش قرونا طويلة عالي الرأس، موفور الكرامة.

لقد تضافرت العوامل الاقتصادية والاجتماعية وحتى الدينية في سقوط المغرب وأصابه الاتهام توجه إلى الملك الشاب عبد العزيز الذي كان يسير بأمر غيره وقد قبل القرض الذي بموجبه يعد قاصرا عن تسييره. فترقب فرنسا في خطوة أولى المدخولات الجمركية في سائر الموانئ المغربية وفي خطوة ثانية انتظار فرصة للتدخل المباشر وكان اغتيال الدكتور "موشان" وأحداث الدار البيضاء⁽⁷²⁾، التي ذهب ضحيتها بعض الفرنسيين سببا كافيا للتدخل وفرض الحماية.

نعود إلى القول بأن الطرق الصوفية كانت منزوية على نفسها أو كان نشاطها وخصوصا بالمغرب الأقصى تقتصر على الجانب التعليمي والثقافي وقد عرف الاستعمار الدور الذي يمكن للطرق الصوفية أن تحدثه إذا ما فكر في محاربتها واستئصالها، فراح يتألفها وسار على نفس الخطى التي سارت بها الدولة العثمانية مع الطرق الصوفية كسبا لودها . غير أن الطرق الصوفية مبنية على أساس يختلف في العمق مع ما يعتقد الاحتلال ولذلك كان وجود الاحتلال مسألة وقت وأوانها هدنة غير معلنة سرعان ما تنخرق بفعل الأوضاع السائدة .

استنتاجات

لقد استعرضت بإيجاز شديد أوضاع المغرب العربي منذ الوجود العثماني حتى الاحتلال الأجنبي بين المتغيرات والثوابت سواء بالنسبة للأقطار التي كانت تحت الحماية العثمانية : الجزائر، تونس وطرابلس أو المغرب الأقصى الذي تمتع بالحكم المستقل عن الخلافة العثمانية وكانت تلك الظروف تدل في معظم الأحيان عن الضعف السياسي وذلك لسببين : أولهما: الضعف الاقتصادي الناشئ عن السياسة والحكم وسوء التدبير وقلة الحيلة في التسيير وخاصة في ظل الصراع المستمر على الحكم وخاصة بالمغرب الأقصى .

والسبب الثاني: القمع والتهميش الذي تعرض له شيوخ الزوايا بل الطرق الصوفية الممثلة في الزوايا الدينية وما حدث للزاوية الدلائية مبنى ومعنى والدليل الذي لا يقبل النقض أن بعد الاحتلال الأجنبي قام رجال الطرق الصوفية بدون منازع في محاربة ومقاومة الاستعمار في كل أقطار المغرب العربي السنوسية بطرابلس وعبد الكريم الخطابي بالمغرب الأقصى وبالضبط في الريف المغربي وكان من زعماء الطرق الصوفية وكذلك بالنسبة للجزائر البطل الأمير عبد القادر، انطلق من

الزاوية القيطنة، بل كان صوفي بالأساس . هذا ما كنت قد أشرت إليه في أن الفرق الصوفية عامل وحدة ولم الشمل، ولم تكن أبدا عامل تفكك يراد بها بالمفهوم العكسي أي الانحصار والانزواء الذي لا يعبر عن التفكك بل التقية والحذر للمعاودة وهذا ثابت عبر التاريخ ولا يمكن لأي أن ينكر هذه الحقائق الثابتة علميا ومحقة في تاريخ المغرب الكبير .

الهوامش

- * - مسعود (مجاهد). تاريخ الجزائر. الجزء الأول سنة 1963 ص 24، وللتفصيل أكثر ينظر، راجح تركي التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ش. و، ن، ت، الجزائر 1981، ص 66، وأيضا الملي (مبارك بن محمد الهيلالي)، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 3 مكتبة النهضة الجزائرية، د ت، ص 11
- * - سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي في القرن العاشر إلى الرابع هجري 16-20 ج 1 سنة 1981 ش.و.ن.ت، الجزائر، ص 87 .
- 1- يعي (جلال)، المغرب الكبير دار النهضة العربية، بيروت ج 4، 1981، ص 7. قارن أبو القاسم سعد الله، نفس المصدر، ص 151.
- 2- الملي (مبارك بن محمد الهيلالي)، المرجع السابق، ص 19.
- 3 - الصلابي (علي محمد) الدولة العثمانية . عوامل النهوض وأسباب السقوط - دار ابن الجوزي القاهرة ط 1 1428هـ/، 2007، ص 188
- 4- عبد الهادي (التازي)، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم . الهيئة العامة بمكتبة الإسكندرية 1988/1408 ص 307
- 5 - الجيلالي (عبد الرحمن)، تاريخ الجزائر العام ج 3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دار الثقافة، بيروت 1402هـ/، 1982 م، ص 87.
- 6 - احمد توفيق المدني، هذه الجزائر. القاهرة سنة 1956 ص 95.
- 7 - العقاد (صلاح)، المغرب العربي، الجزائر، تونس، المغرب الأقصى، القاهرة، 1955 م، المرجع السابق، ص 22.
- 8 - العقاد (صلاح)، نفس المرجع، ص 20.
- 9- M. Alfred. nettement .histoire de la conquête d'Alger. Librairie jacques le coffre nouvelle collection 1867 p92.
- 10- أن الأتراك وجدوا الفرنسيين على سواحل إفريقيا عند ظهورهم سنة 1518 م.
- 11- الملي (محمد مبارك)، المرجع السابق، ص 59
- 12- سعد الله (أبو القاسم)، المرجع السابق ص 35 و 142

- 13- r.p.pirrdan - histoire de la barbarie et des corsaires. Imprimeur et ordinaire du roi. au palais arnès du roi et de la ville .seconde Edition.1646 p82.
- وللتفصيل أكثر ينظر أيضا على حجي (عبد الرحمن)، محاكم التفتيش الغاشمة وأساليبها شركة الشهاب بالجزائر، ص 22 و 61
- 14- سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي سبق ذكره ص 181
- 15- سعد الله (أبو القاسم)، نفس المرجع ونفس الصفحة
- 16- الجيلالي (عبد الرحمن)، مرجع السابق، ص 87.
- 17- درغوث باشا سقط شهيد في حرب دارت بين القوات العثمانية المغربية من جهة، وفرسان بيت المقدس من الجهة الأخرى بعد حصار طويل سنة 1565. انظر المبارك الميلي المرجع السابق، ج 3 ص 51
- 18- أندريه (ريمون)، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة لطيف فرج. دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع 1990 ص 22
- 19- أندريه (ريمون)، المرجع نفسه، ص 21
- 20- ما كاد بوحسون آخر سلاطنة بني وطاس يعلن ولاءه للسلطان سليمان الذي عاونه ضد السعديين (1554) ، حتى قام محمد الشيخ بإعادة سيطرة السعديين .لقد نجحت الإمبراطورية الشريفة إذن في إبعاد العثمانيين عن المغرب الأقصى، وتحددت الحدود العثمانية بصفة نهائية بين وجدة وتلمسان .
- 21- يلف هذه المسألة الغموض في العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى، ولا يمكن الحسم في ودية التعاون بين الجزائر والمغرب الأقصى وخاصة الأزمات، لاسيما مسألة الحدود المفتعلة، على اعتبار أن الاستعمار رسمها وفق ما وجدها عليه
- 22- أحمد ياغي (إسماعيل)، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة البيكان، سنة 1998 ط2 ص 75
- 23- الميلي (محمد مبارك)، المرجع السابق، ص 160
- 24- سعد الله (أبو القاسم)، المرجع السابق، ص 29
- 25- إسماعيل (أحمد ياغي)، المرجع السابق، ص 75
- 26- سعد الله (أبو القاسم)، المرجع السابق، ص 29
- 27- العقاد (صلاح)، المرجع السابق، ص 34 وللتفصيل أكثر ينظر، تاريخ طرابلس الغرب المسمى " التذكار فمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار، شرح لأبي عبد الله محمد بن طليل عليوان الطرابلسي، على قصيدة، الشيخ أحمد بن عبد الدائم الأنصاري الطرابلسي، مطبعة السلفية ومكتبتها القاهرة، 1349، ص 326
- 28- متر (ادم)، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرياً تعريب محمد عبد الهادي أبو رييدة، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981، ص 20.
- 29- الميلي المرجع السابق، ص 70، تحفة الجزائر ص 68
- 30- سعد الله (أبو القاسم)، المرجع السابق، ص 11، صلاح العقاد، ص 30
- 31- العقاد (صلاح)، نفس المرجع، ص 33
- 32- العقاد (صلاح)، المرجع نفسه ، ص 32
- 33- سعد الله (أبو القاسم)، المرجع السابق، ص 181 و 187
- 34- الميلي، المرجع السابق، ص 230، 231
- 35- الأستاذ درواز، حوار حول الثورة، المركز الوطني للتوثيق والصحافة والإعلام، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الغاية، الجزائر، 1986، ص 92

- 36- سعد الله (أبو القاسم)، المرجع السابق ص 10، وللتفصيل أكثر ينظر ،إسماعيل أحمد ياغي، محمد، شاكر، المرجع السابق، ص234
- 37- تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر والقارة الإفريقية ج2، دار المريخ ،المملكة العربية السعودية 1413هـ/1993م، 4 ص 234
- 38- الناصري (السلامي)، الإستقصا لتاريخ دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق ،جعفر الناصري ومحمد الناصري دار الكتاب، القسم الثاني ج4 سنة 1955 ، ص 141 و142
- 39- التازي (عبد الهادي) ،ص. التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم . الهيئة العامة بمكتبة الإسكندرية 1988/1408 م.ص 235، والناصر ج4، ص142
- 40- كانت جميع الاتفاقات والمعاهدات التي تحدث عنها الحسن الوزان، في كتابه وصف إفريقيا والتي قال عنها أنها عظمها هشة تتم في مدينة فاس باعتبارها عاصمة المغرب في تلك الفترة . أنظر عبد الهادي التازي التاريخ الدبلوماسي، المرجع السابق ، ص 246
- 41- الإستقصا، المرجع السابق، ج4، ص118
- 42- محمد المهدي هذا معروف بأحمد الشيخ، أو "أمغار"، وتعني بالبربرية "الشيخ"، ويلقب بالألقاب السلطانية "بالمهدي"، الإستقصا، المرجع السابق ج5، ص19
- 43- التازي (عبد الهادي)، المرجع السابق، ص 262
- 44- العقاد (صلاح)، المرجع السابق، ص 15
- 45- الجيلالي (عبد الرحمن) المصدر السابق، ص 252.
- 46- الإستقصا، ج5 المرجع السابق، ص28
- 47- العقاد (صلاح)، المرجع السابق، ص58
- 48- العقاد (صلاح)، المرجع السابق، ص60
- 49- الملي، المرجع السابق، ص160
- 50- العقاد (صلاح)، المرجع السابق، ص64
- 51- توفي رحمه الله سنة سبعين وثمانمائة، الإستقصا ج4 ، المرجع السابق، ص122
- 52- ذكر تلامذته كالشيخ التباع وغيره : أن الشيخ الجزولي خرج عليهم من آخر الليلة التي قتل في صبيحتها، فقالوا له: "ياسيدي الناس يزعمون أنك الفاطمي المنتظر، فقال: ما يبحثون إلا عمن يقطع رقابهم ،الله يسلط عليهم من يقطع رقابهم ،وكرر ذلك مرارا"، الإستقصا ج4 المرجع السابق ص123
- 53- أصل الشيخ أبي محمد عبد الله الغزواني دفين حومة القصور من مراكش من غزوان ،قبيلة من عرب تامسنا ،وكان في ابتداء أمره يقرأ العلم بمدرسة الوادي من عدوة الأندلس بفاس ،فحصلت له إرادة، فسافر إلى مراكش ولزم الشيخ التباع وتخرج به الإستقصا ،ج4، ص144
- 54- حجي (محمد)، الزاوية الدلانية ودورها العلمي والفكري والسياسي، دار طوبقال للنشر، 1965، ط1، ص43
- 55- العقاد (صلاح)، المرجع السابق، ص53
- 56- حجي (محمد)، المرجع السابق، ص 152
- 57- حجي (محمد)، المرجع السابق، ص44
- 58- هي الوصف الذي لم يتم دليل من الشارع على اعتباره، أو إلغائه. الموسوعة العربية العالمية، النسخة الإلكترونية.
- 59- العقاد (صلاح)، المرجع السابق، ص68

-
- 60- حجي (محمد)، المرجع السابق، ص231
- 61- حجي (محمد)، المرجع نفسه، ص43، والعقاد صلاح، المرجع سابق، ص68
- 62- العقاد (صلاح)، المرجع السابق، ص60
- 63- التازي (عبد الهادي)، المجلد 6، المرجع السابق، ص161
- 64- وقعت معاهدة في يناير 1682، وقد أرسل لويس الرابع عشر على أثرها بعثتين في سنة 1684 و1693 على التوالي ولكن فرنسا لم تستفد كثيرا من هذه المعاهدة إبان عهد مولاي إسماعيل لقلّة معاملاتها التجارية. العقاد صلاح، المرجع السابق، ص72
- 65- تميز لويس الرابع عشر بسياسة الغرور إزاء الدول الإسلامية التي كانت تثنيه عن التحالف معها، نفس المرجع، ص71
- 66- اعتلى أبه عبد الله عرش المملكة أربع مرات نتيجة الاضطرابات، والمنافسة على الحكم، العقاد صلاح، المرجع السابق، ص73
- 67- المكس: هي ضريبة تخصص عند بيع البضائع، أو جليها سواء اكانت المبيعات عامة أو فردية.
- 68- كان الهدف من تأسيس هذه المدينة إنعاش التجارة، غير أن اليهود هم من استغلوا استحداث هذه المدينة وسيطروا على التجارة بها.
- 69- يتفق كل من د.صلاح العقاد وكتابه المغرب العربي ص 32-33 والشيخ عبد الرحمن الجيلالي. في كتابه تاريخ الجزائر العام ج 3 ص 260 والدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي ص 34 أن الطرق الصوفية تمثل عامل وحدة وتفكك.
- 70- العقاد (صلاح)، المرجع السابق، ص76
- 71- المرجع السابق، ج 4، ص95
- 72- يحي (جلال)، المرجع السابق، ص97
- 73- العقاد (صلاح)، المرجع السابق، ص252 و254 و255.
- 74- العقاد (صلاح)، المرجع السابق، ص262.